تاريخ التفسير

د. ناصر محمد الماجد

المحاضرة التاسعة عشرة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، وبعد. كنا أيها الإخوة الكرام في المحاضرة الماضية تكلمنا عن مرحلة عصر الركود التي مر بها علم التفسير في تاريخ تدوينه، وذكرنا أبرز ملامح ذلك الركود، وأيضًا أسباب ذلك الركود في تلك المرحلة، ثم انتهى بنا الحديث إلى ذكر كتابين من الكتب التي ألفت في تلك المرحلة. سنختم حديثنا عن تاريخ التدوين في علم التفسير بالمرحلة الخامسة، وهي المرحلة الأخيرة، والتي أطلقنا عليها **مرحلة العصر الحديث.** وللتذكير، فإن المراحل التي مر بها **تاريخ التفسير** هي:

1. المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والظهور، من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عهد الصحابة، ثم عهد التابعين.
2. المرحلة الثانية: مرحلة التفسير في عصور التدوين، من بداية التدوين في التفسير إلى بداية القرن الرابع الهجري.
3. المرحلة الثالثة: مرحلة التطور والازدهار، من بداية القرن الرابع إلى نهاية القرن العاشر الهجري.
4. المرحلة الرابعة: عصر الركود، من القرن العاشر الهجري حتى سقوط الخلافة العثمانية.
5. المرحلة الخامسة: العصر الحديث، من عصر النهضة العلمية الحديثة إلى اليوم.

المرحلة الخامسة من تاريخ التفسير: العصر الحديث

إن الكلام عن هذه المرحلة له عدد من المجالات والجوانب والوقفات، التي قد تتشابك مع مقررات أخرى تدرسونها؛ ولهذا سأختصر إن شاء الله عز وجل قدر استطاعتي فيما يتعلق بالكلام عن هذه المرحلة؛ لأن الذي يهمنا هو الوقوف على السمات الغالبة للمرحلة، وشيء مما دُوِّن فيها دون إطالة.

وبدايةً نقول في مسألة تحديد متى يبدأ العصر الحديث، أن هذا فيه اختلاف بين المختصين، لكن بكل حال فإن سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية، ودخول المحتل إلى بلاد المسلمين إلى يومنا هذا، يعتبر علامةً فارقةً في تاريخ المسلمين، فالفترة ما قبل سقوط الخلافة العثمانية وما بعدها هي نقطة فارقة وكبيرة جدًا في تاريخ العالم الإسلامي. فمنذ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقيام الدولة الإسلامية التي ينضوي تحتها كل المسلمين، واستمرار الخلافة الإسلامية الأموية، ثم العباسية، ثم العثمانية، وبعد ذلك سقوط الخلافة الإسلامية وسقوط مسمى الخلافة الإسلامية، ودخول المستعمر بلاد المسلمين، وتجزئة بلاد المسلمين وتقطيع أوصالها، هذه علامة فارقة ومؤثرة تأثيرًا كبيرًا جدًا، ليس فقط على جانب معين من جوانب حياة المسلمين، بل أثر على كل جوانب حياة المسلمين؛ الجوانب

السياسية، والجوانب الاقتصادية، والجوانب الاجتماعية، والجوانب الفكرية والعلمية، كل الجوانب أثَّرت فيها، ولذلك التأريخ بها وجعلها نقطةً فارقةً في تاريخ تدوين علم التفسير مهم جدًا.

سقوط الخلافة الإسلامية كان له تأثير عميق جدًا على المسلمين كلهم، وعلى وجه الخصوص على أهل العلم، لما رأوا العالم الإسلامي كله يتهاوى بعد سقوط الخلافة الإسلامية وإبعاد الخليفة المسلم، والعالم الإسلامي كله يتم تقسيمه وتوزيعه كما تتقاسم الكعكة بين المستعمرين، حتى أصبحت البلدان الإسلامية كلها فريسةً سهلةً ولقمةً سائغةً بيد المستعمر المحتل، كل هذا جعل أهل العلم يبدءون بمراجعةٍ ذاتيةٍ لأنفسهم ولواقعهم، والمراجعة الذاتية لأسباب هذه النكبة العظيمة التي حلت بالإسلام وأهله.

وكلهم بلا اختلاف يدركون أن السبب هو بعدهم عن كتاب الله عز وجل؛ لأن هذا القرآن الكريم هو كان سبب عز المسلمين، ونشأتهم، وظهورهم، وغلبتهم، وانتشارهم، فبُعدهم عنه أوقعهم في هذه الحال التي هم عليها، ولذلك هم اقتنعوا أن أسباب نهضة المسلمين، وأسباب رجوع المسلمين عن هذا التخلف لكي يعودوا مرة أخرى قادة العالم، يكمن في هذا القرآن الكريم، فكل الحركات التصحيحية، كل المسارات النهضوية في العالم الإسلامي، كلها تنطلق من القرآن الكريم، حتى النهضات الفكرية والعلمية.

تميزت مرحلة العصر الحديث بسمة بارزة، وربما تكون هي السمة التي يندرج تحتها كل ما عداها من السمات، **تميزت هذه المرحلة بالمحاولات الجادة للتجديد في النظر في كلام الله عز وجل وتفسيره**، كانت هذه هي السمة البيّنة الواضحة على أغلب الجهد العلمي في تفسير كلام الله عز وجل، بل حقيقة لا تكاد تجد مفسرًا معاصرًا فسَّر كلام الله عز وجل إلا وهو يستصحب هذا المعنى؛ أن يجدد في التفسير، وتجده في ثنايا كلامه يشير إلى أنه أراد بتفسيره تجديد التفسير، وتجديد النظر في التفسير بعد ما مر به التفسير من فترة الركود والجمود الخالية من التجديد والابتكار. ولكن، هل هذا التجديد كان تجديداً حقيقياً أم صورياً؟ هل التزم المفسرون في العصر الحديث بالتجديد فعلًا أم لا؟ نستطيع أن نقول: إن **غالب التفاسير الموجودة لم تحقق التجديد بالمفهوم الصحيح، ولا بالمفهوم الذي قصده حتى المؤلف**، فلا يصدق التجديد إلا على كتب محدودة معدودة من التفاسير المعاصرة، كما سنوضح ذلك إن شاء الله في الأمثلة التي نضربها على الكتب التي ألفت في هذه المرحلة.

✔ مميزات التفسير في العصر الحديث

((ظل التفسير واقفا عند مرحلة الركود والجمود لا يتعداها ولا يحاول التخلص منها حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة، فاتجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرروا من قيد هذا الركود، ويتخلصوا من نطاق هذا الجمود، فنظروا في كتاب الله نظرة – وإن كان لها اعتماد كبير على ما دونه الأوائل في

التفسير – أثرت في الاتجاه التفسيري للقرآن تأثيرا لا يسعنا إنكاره، ذلك هو العمل على التخلص من كل هذه الاستطرادات العلمية التي حشرت في التفسير حشرا ومزجت به على غير ضرورة لازمة، والعمل على تنقية التفسير من القصص الإسرائيلي الذي كاد يذهب بجمال القرآن وجلاله، وتمحيص ما جاء فيه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو على أصحابه عليهم رضوان الله تعالى، وإلباس التفسير ثوبا أدبيا اجتماعيا، يظهر روعة القرآن، ويكشف عن مراميه الدقيقة وأهدافه السامية، والتوفيق بجد بالغ وجهد ظاهر بين القرآن وما جد من نظريات علمية صحيحة، على تفاوت بين الموفقين في الغلو والاعتدال، وكان ذلك من أجل أن يعرف المسلمون وغير المسلمين أن القرآن هو الكتاب الخالد، الذي يتمشى مع الزمن في جميع أطواره ومراحله.. وهناك غير هذه الآثار آثار أخرى ظهرت في الاتجاه التفسيري في هذا العصر الحديث، نشأت عن عوامل، أهمها: التوسع العلمي، والتأثر بالمذهب والعقيدة، والإلحاد الذي قام على حرية الرأي الفاسد.))[1]

✓ محاولات التجديد في التفسير في العصر الحديث

محاولات التجديد في التفسير اتخذت شكلين:

1. **التجديد في طريقة العرض:** التجديد الشكلي الظاهري الذي لا يمس الجوهر، وإنما يتعلق بطريقة العرض وشكله ومظهره، من حسن العرض، وحسن الترتيب، وحسن التقسيم، ولاختصار، والتقريب، وتسهيل العبارة، ونحو ذلك. وهذا هو السمة الغالبة على محاولات التجديد في التفسير في العصر الحديث، وهو ما نسميه بالتجديد الظاهري الشكلي.
2. **التجديد في المضمون:** التجديد الحقيقي، حيث يعتمد على محاولات جادة في الكشف عن معاني القرآن الكريم، أو طرق مواضيع وميادين جديدة لم يسبق إليها، أو إبراز مناهج واتجاهات جديدة في طريقة التأليف والكتابة في التفسير، وهذا النوع من التجديد هو الأقل في الحقيقة؛ لأنه دائمًا الشيء المميز يكون أقل من الشيء المعتاد. (وأرجو إن شاء الله أن تدرسوا ذلك في مقرر مستقل، يكشف الضوء عن التأليف، واتجاهات التأليف في العصر الحديث).

✓ اتجاهات التفسير في العصر الحديث

ظهرت اتجاهات في التفسير لم تكن معروفة من قبل، يمكن إجمالها في ثلاثة اتجاهات برزت بشكل كبير وبيّن وهي:

1. **الاتجاه الأول: الاتجاه الاجتماعي:** وحينما نقول الاتجاه الاجتماعي فنحن نعني به ذلك النوع من التفسير الذي يعالج قضايا الناس الواقعة، منطلقا من القرآن الكريم، فيحاكم تلك الظواهر الإجتماعية إلى القرآن

[1] الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص 363 - 369.

الكريم، ويتحاكم إلى معاني القرآن الكريم وهداياته في تقييم الواقع أو معالجة الانحراف فيه، مسترشدًا بهدي القرآن، ومستهديًا بنوره، وهو يتناول تلك القضايا الاجتماعية.

((هو معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولا وقبل كل شيء على إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تصاغ المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون من سنن الاجتماع ونظم العمران..... إن الفضل في هذا اللون التفسيري يرجع إلى مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده للتفسير فهو زعيمها وعميدها، ثم المرحوم السيد محمد رشيد رضا، ثم المرحوم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي، وهما خير من أنجبت هذه المدرسة))[2].

2. **الاتجاه الثاني: الاتجاه الموضوعي:** وهو الذي يعتني بدراسة الموضوعات التي وردت في القرآن الكريم بمنظور قرآني، يكون القرآن هو مُنطلَقه في مدارسة ودراسة ذلك الموضوع الذي ورد في القرآن الكريم.

3. **الاتجاه الثالث: الاتجاه العلمي:** ونعني به الربط بين ما في القرآن الكريم من إشارات إلى مسائل علمية، وما كشفه العلم الحديث في شتى ميادين المعرفة، فيعتنون بالربط بين ما في القرآن الكريم من إشارات إليها وبين ما دل عليه العلم الحديث في مختلف الميادين العلمية، في الطب، في الفلك، في الاقتصاد، في علم النفس، في علم الأرض وطبقاتها، في علم الأفلاك، شتى أنواع العلوم والمعرفة.

((هذا اللون من التفسير، والذي يرمي إلى جعل القرآن مشتملا على سائر العلوم ما جد منها وما يجد، قد استشرى أمره في العصر الحديث، وراج لدى بعض المثقفين الذين لهم عناية بالعلوم وعناية بالقرآن الكريم، وكان من أثر هذه النزعة التفسيرية التي تسلطت على قلوب أصحابها، أن أخرج لنا المشغوفون بها كثيرا من الكتب يحاول أصحابها فيها أم يحمِّلوا القرآن كل علوم الإض والسماء، وأن يجعلوه دالا عليها بطريق التصريح أو التليمح، اعتقادا منهم أن هذا بيان لناحية من أهم نواحي صدقه وإعجازه وصلاحيته للبقاء. ومن أهم الكتب التي عنيت بهذا اللون كتاب: "كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية" للإمام محمد بن أحمد الاسكندراني، من علماء القرن الثالث عشر الهجري. وأعظم علماء العصر الحديث تشيعا للنزعة التفسيرية العلمية وأكثرهم إنتاجا لهذا التفسير هو المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره: ***الجواهر***، المطبوع سنة 1341هـ – 1351هـ.))[3].

---

[2] المصدر السابق
[3] المصدر السابق

هذه الاتجاهات الثلاثة الجديدة في التفسير برزت بشكل كبير في العصر الحديث فأصبحت سمةً غالبةً على كثير من المؤلفات في التفسير في هذا العصر، حتى أن بعض الجامعات والمراكز العلمية المستقلة قامت بتبني الاتجاهين الموضوعي و العلمي، واعتنت بهما.

ظهور اللون المذهبي، واللون الإلحادي في التفسير:

من ألوان التفسير التي ظهرت في العصر الحديث هو ظهور اللون المذهبي واللون الإلحادي بسبب وجود بعض الفرق المنحرفة في هذا العصر، حيث نجد أن المحاولات الجادة للتجديد في التفسير والنظر فيه، رافقها وسار معها بخطٍ موازٍ اتجاهات منحرفة في تفسير كلام الله عز وجل، تَتَزَيَّا بزيِّ التجديد وروح المعاصرة، وهي في الحقيقة اتجاهات غربية تغريبية، تعتمد مناهج فلسفية، تنتهي بصاحبها وبالمشتغل بها إلى الطعن في القرآن الكريم، وفي أبرز ما يميزه وهو أنه كلام الله عز وجل، فاعتمدت على تجريد القرآن الكريم من أعظم سمة له، وهو كونه كلام الله عز وجل، بالرغم من أن أصحاب هذا الخط الموازي أيضا يدَّعون التجديد وروح المعاصرة في فهم كلام الله عز وجل، ولكن - كما ذكرت لكم - ينتهي بهم الحال إلى تجريد القرآن عن أعظم ميزة له وهو أنه كلام الله عز وجل، فإذا جُرِّد عن هذا المعنى بقي كنص تراثي كسائر النصوص التراثية، يخضع للمقاييس الأدبية والذوقية لمتلقيه، أيًا يكن ذلك المتلقي، وهي في الحقيقة انتشرت بشكل كبير جداً، إن لم تكن في مستوى المحاولات الجادة الراشدة للتجديد في التفسير، فهي قريبة منها في خطورتها وكثرتها وكثرة المتأثرين بها، ولا سيما من طبقة المثقفين وأهل الرأي والفكر. (ولعله إن شاء الله عز وجل ييسر الله لكم في أحد المقررات في ضمن الأكاديمية دراسة هذه المناهج المنحرفة في تفسير كلام الله عز وجل في العصر الحديث).

✓ أهم المؤلفات في التفسير في العصر الحديث

نختم الكلام عن هذه المرحلة بذكر بعض نماذج للتفاسير في هذه المرحلة، منها:

1. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني [4]

ألَّفه أبو الثناء، **شهاب الدين محمود بن شكري الآلوسي**، المتوفى سنة 1270 من الهجرة. كان الألوسي عالماً باختلاف المذاهب، مطلعا على الملل والنحل، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب، إلا أنه كان في كثير من المسائل يقلد أبا حنيفة، وكان في آخر أمره يميل إلى الاجتهاد. خلف للناس ثروة علمية كبيرة ونافعة، منها تفسيره لكتاب الله (ما نحن بصدده)، وحاشيته على قطر الندى، وشرح السلم في المنطق، ومنها: الفوائد السنية في علم آداب البحث، وغير ذلك من المؤلفات.

[4] الدكتور محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج1، ص 250 – 257.

نبذة عن هذا التفسيروطريقة مؤلفه فيه:

- هذا التفسير الموسوعي يعتبر كتابا جامعا لآراء السلف رواية ودراية، مشتملا على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة كل من سبقه من التفاسير، فينقل عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي وغيرها من كتب التفسير المعتبرة، وكان عندما ينقل من هذه التفاسير ينصب نفسه حكما عدلا بينها، وينقد نقدا مدققا، ثم يبدي رأيه حرا فيما ينقل،
- الألوسي في تفسيره له موقف من المخالفين لأهل السنة، فنراه كثيرا ما يفند أراء المعتزلة والشيعة وغيرهم من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه،
- استطرد الألوسي في تفسيره في المسائل الكونية،
- استطرد في المسائل النحوية إلى حد يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسرا،
- إذا تكلم عن آيات الأحكام يستوفي مذاهب الفقهاء وأدلتهم مع عدم التعصب منه لمذهب معين،
- شديد النقد للإسرائيليات والأخبار المكذوبة،
- تعرض في تفسيره للقراءات والمناسبات وأسباب النزول، وكثير الاستشهاد بأشعار العرب.
- لم يفت الألوسي أن يتكلم عن التفسير الإشاري بعد أن يفرغ من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات، ومن هنا يعد بعض العلماء تفسيره هذا ضمن كتب التفسير الإشاري.

2. "تفسير التحرير والتنوير"، لابن عاشور

هذا التفسير ألّفه العالم والفقيه التونسي، الشيخ **محمد الطاهر بن محمد بن عاشور**، المتوفى سنة 1393 للهجرة. فسّر الشيخ ابن عاشور القرآن الكريم تفسيرا كاملا سماه: ***تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد***، واختصر هو نفسه هذا الاسم تحت عنوان ***تفسير التحرير والتنوير***.

ألف عشرات الكتب منها ما هو في العلوم الإسلامية ومنها ما هو في العربية وآدابها: مثل: كتابه الثمين والفريد من نوعه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، و"أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، و"الوقف وآثاره في الإسلام"، و"كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ"، و"التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح" في أصول الفقه وهذا الكتاب هو شرح على كتاب تنقيح الفصول في الأصول للقرافي ، وغيرها من الكتب النافعة.

نبذة عن هذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه:

ويعتبر هذا التفسير موسوعة من المعارف، ويعتبر من أفضل التفاسير المعاصرة التي تعكس سمات هذه المرحلة من محاولات التجديد في التفسير، فهو يمثل ما نشير إليه من رغبة علماء هذا العصر في التجديد في التفسير، بل يمكن أن يعد في ضمن مجموعة من التفاسير هي أفضل ما دُوِّن في تاريخ التفسير. اعتنى مؤلفه بشكل كبير بإظهار وجوه نظم القرآن وبلاغته وإعجازه، مع بيان مقاصد الشريعة الكبرى، وهو في الحقيقة معدودٌ ممن جدد في التفسير في العصر الحديث.

وقد بيّن ابن عاشور منهجه فيه في مقدمته فقال: " وَقَدِ اهْتَمَمْتُ فِي تَفْسِيرِي هَذَا بِبَيَانِ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ ، وَنُكَتِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَأَسَالِيبِ الِاسْتِعْمَالِ ، وَاهْتَمَمْتُ أَيْضًا بِبَيَانِ تَنَاسُبِ اتِّصَالِ الْآيِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ... وَلَمْ أُغَادِرْ سُورَةً إِلَّا بَيَّنْتُ مَا أُحِيطُ بِهِ مِنْ أَغْرَاضِهَا ؛ لِئَلَّا يَكُونَ النَّاظِرُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مَقْصُورًا عَلَى بَيَانِ مُفْرَدَاتِهِ وَمَعَانِي جُمَلِهِ كَأَنَّهَا فِقَرٌ مُتَفَرِّقَةٌ تَصْرِفُهُ عَنْ رَوْعَةِ انْسِجَامِهِ وَتَحْجُبُ عَنْهُ رَوَائِعَ جَمَالِهِ. وَاهْتَمَمْتُ بِتَبْيِينِ مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، بِضَبْطٍ وَتَحْقِيقٍ مِمَّا خَلَتْ عَنْ ضَبْطِ كَثِيرٍ مِنْهُ قَوَامِيسُ اللُّغَةِ. وَعَسَى أَنْ يَجِدَ فِيهِ الْمُطَالِعُ تَحْقِيقَ مُرَادِهِ ، وَيَتَنَاوَلَ مِنْهُ فَوَائِدَ وَنُكَتًا عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ ، فَإِنِّي بَذَلْتُ الْجُهْدَ فِي الْكَشْفِ عَنْ نُكَتٍ مِنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْجَازِهِ خَلَتْ عَنْهَا التَّفَاسِيرُ ، وَمِنْ أَسَالِيبِ الِاسْتِعْمَالِ الْفَصِيحِ مَا تَصْبُو إِلَيْهِ هِمَمُ النَّحَارِيرِ ، بِحَيْثُ سَاوَى هَذَا التَّفْسِيرُ عَلَى اخْتِصَارِهِ مُطَوَّلَاتِ الْقَمَاطِيرِ ، فَفِيهِ أَحْسَنُ مَا فِي التَّفَاسِيرِ، وَفِيهِ أَحْسَنُ مِمَّا فِي التَّفَاسِيرِ ، وَسَمَّيْتُهُ : تَحْرِيرَ الْمَعْنَى السَّدِيدِ وَتَنْوِيرَ الْعَقْلِ الْجَدِيدِ مِنْ تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ، وَاخْتَصَرْتُ هَذَا الِاسْمَ بِاسْمِ : التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ مِنَ التَّفْسِيرِ "[5]. انتهى .

3. "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي

من الكتب أيضا المؤلفة في هذا العصر: ***أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن***، **لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي**، المتوفى أيضا سنة 1393 للهجرة، وهو من كبار العلماء المعاصرين، ممن برع في التفسير، والفقه، والأصول، والنحو، والسيرة، والتاريخ، ودرَّس وعلَّم وصار قاضيًا، حتى استقر به المقام ونزل في المدينة وكان من أهلها، ومن مؤلفاته المشهورة "منع جواز المجاز"، ومن مؤلفاته أيضا "دفع الاضطراب عن آي الكتاب"، وكتابه ***أضواء البيان*** توفي رحمه الله قبل إتمامه، فأتمه تلميذه الشيخ عطية سالم -رحم الله الجميع-، وقد أوضح في مقدمته مقصوده من التأليف؛ بأنه أراد بيان القرآن بالقرآن، ولأجل ذلك كتب في المقدمة كلامًا مطولًا عن تفسير القرآن بالقرآن فقال:

[5] "التحرير والتنوير" (1/8)

"واعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران: أحدهما بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا، وقد التزمنا أنا لا نبين القرآن إلاّ بالقراءة سبعية سواء كانت قراءة أخرى في الآية المبينة نفسها، أو آية أخرى غيرها، ولا نعتمد على البيان بالقراءات الشاذة وربما ذكرنا القراءة الشاذة استشهادًا للبيان بقراءة سبعية، وقراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف ليست من الشاذ عندنا ولا عند المحققين من أهل العلم بالقراءات. والثاني: بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة في هذا الكتاب، فإننا نبين ما فيها من الأحكام وأدلتها من السنة وأقوال العلماء في ذلك، ونرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل، من غير تعصب لمذهب معين ولا لقول قائل، معين لأننا ننظر إلى ذات القول لا إلى قائله، لأن كل كلام فيه مقبول ومردود إلا كلامه صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن الحق حق ولو كان قائله حقيرًا. وقد تضمن هذا الكتاب أمورًا زائدة على ذلك، كتحقيق بعض المسائل اللغوية وما يحتاج إليه من صرف وإعراب والاستشهاد بشعر العرب وتحقيق ما يحتاج إليه فيه من المسائل الأصولية والكلام على أسانيد الأحاديث"

4. "تفسير المنار"، لمحمد رشيد رضا [6]

من التفاسير المهمة أيضا في العصر الحديث: تفسير القرآن الحكيم، المشهور بـ*تفسير المنار*، وألّفه الشيخ **محمد رشيد رضا**، المتوفى سنة 1354هـ. يعتبر محمد رشيد رضا مفكراً إسلامياً من رواد الإصلاح الإسلامي والنهضة الفكرية الذين ظهروا مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وبالإضافة إلى ذلك، كان صحفيا وكاتبا وأديبا لغويا. هو أحد أبرز تلاميذ الشيخ محمد عبده، أسس مجلة "المنار" على نمط مجلة "العروة الوثقى" التي أسسها الإمام محمد عبده.

إذا تتبعنا ما كتبه الشيخ رشيد رضا من تفسير للقرآن الكريم لوجدنا أنه أكثر رجال مدرسة الإمام محمد عبده إنتاجا في التفسير، ذلك أنه ابتدأ في تفسيره بأول القرآن وانتهى عند قوله تعالى في الآية 101 من سورة يوسف: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف: 101]. هذا القدر من التفسير مطبوع في اثني عشر مجلدا كبارا، وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار تفسير سورة يوسف، وطبع تفسير هذه السورة بتمامها في كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ رشيد رحمه الله. هذا وقد فسر الشيخ رشيد رضا من القصار: سورة الكوثر، والكافرون، والإخلاص، والمعوذتين.

[6] تم الاستعانة بكتاب "التفسير والمفسرون" للدكتور محمد حسين الذهبي، ج2، ص 422 – 425 في صياغة هذا الجزء من المحاضرة.

ربما لا نستطيع أن نستبين منهج الشيخ رشيد بشكل واضح في تفسيره لهذا الكتاب؛ لأنه لم يُؤَلِّف وهو يريد التفسير ابتداءً، كما أنه مكث مدةً طويلةً أكثر من ثلاثين سنة في تفسيره، ولهذا يصعب أن نضع منهجًا محددًا لهذا التفسير، وفضلًا عن ذلك، فتفسيره كان أصلًا دروسًا في التفسير ألقاها شيخه الإمام محمد عبده مشافهةً، فكان يكتب ما يسمع، ثم يزيد عليه بما يذكره من دروس الشيخ بعد ذلك، ثم يقوم بعد ذلك بنشرها في مجلة "المنار" بعد أن يحررها. ففي هذه الأثناء كان يسير على منهج الإمام محمد عبده في التفسير.

يوضح الدكتور محمد حسين الذهبي منهج الشيخ رشيد رضا في التفسير قبل وفاة الإمام محمد عبده، فيقول: " وأما منهجه فيه فهو عين ما نهجه الأستاذ الإمام، فلا تقيد بأقوال المفسرين، ولا تحكم للعقيدة في نص القرآن، ولا خوض في إسرائيليات، ولا تعيين لمبهمات، ولا تعلق بأحاديث موضوعة، ولا حشد لمباحث الفنون ولا رجوع بالنص إلى اصطلاحات العلوم، بل شرح للآيات بأسلوب رائع وكشف عن المعاني بعبارة سهلة مقبولة، وتوضيح لمشكلات القرآن، ودفاع عنه يرد ما أثير حوله من شبهات، وبيان لهدايته، ودلالة إلى عظيم إرشاده، وتوقيف على حكم تشريعه، ومعالجة لأمراض المجتمع بناجع دوائه، وبيان لسنن الله في خليقته."

ولكننا نجد أن الشيخ محمد رشيد رضا بعد وفاة شيخه أكملَ تفسيرَه (تفسير المنار)، ولكن بعد أن أحاد عن منهج شيخه بعض الشيء واستقل بعمله - لأن شيخه كان يعتني بالمسائل العقلية، وكان يدع مجالًا للعقل بصورة أرحب وأوسع في النظر في الآيات - يحدثنا الشيخ رشيد بذلك فيقول: "وأنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه -رحمه الله تعالى- بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء أكان تفسيرًا لها، أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات، أو الجمل اللغوية، والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس.".

ومما يُذكر أيضًا، أن الشيخ رشيد رضا لما بدأ ينشر تفسيره في مجلته "المنار"، وهي يطلع عليها جمهور الناس بمختلف طبقاتهم العلمية والفكرية، اضطره ذلك إلى أن يستجيب لحاجات الناس وما يرغبونه، من تعطشهم للهداية بالقرآن الكريم، ورغبتهم في الرجوع إلى معانيه وهداياته، فجعله ذلك يعتني بعقد فصول إصلاحية، تركز على جوانب الخلل في المجتمعات وإصلاحها، وأدرجها في تفسيره.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قام بتفريغ هذه المحاضرة من فريق عمل تفريغ المحاضرات: **نهى الخشن**

قام بالمراجعة الأولى: **أحمد عبد الرحمن**

قام بالمراجعة النهائية والتدقيق وضبط الصياغة والإخراج النهائي: **رئيفة درويش**

الإشراف العام على فريق العمل: **رئيفة درويش**

تنبيه: قد تختلف المادة المسموعة للمحاضرة مع النص المكتوب، ليس فقط في ضبط الصياغة وإعادة الصياغة إذا لزم الأمر، وإنما هذا يشمل أيضا ما قمتُ به باجتهادي الشخصي من إضافة بعض المعلومات الإثرائية مع ذكر مصادرها، ومن مراجعة، والتحقق من كافة أسماء الكتب، وأسماء الأعلام والعلماء وتواريخ وفاتهم، بالإضافة إلى نقل أقوال العلماء بالنص من مصادرها المنشورة.

حاولت باجتهاد متواضع أن ألقي بعض الضوء على كل تفسير من التفاسير المشار إليها في هذه المحاضرة وذلك بالاستعانة بكتاب ***التفسيروالمفسرون***، للدكتور محمد حسين الذهبي، ومصادر أخرى تم ذكرها في ثنايا المحاضرة.

رئيفة درويش